## في حوار مع الباحث والقاص والمترجم المغربي محمد سعيد الريحاني:

# "أنتمي إلى شعب مختلف"

•أجرى الحوار الإعلامي
السوداني خالد عثمان

*فب هذا الحوار الذي اجراه الاعلامي خالد عثمان مع القاص المغربي سعيد الريحاني حديث عن سيرة هذا المبدع و عن وسطه بكثير من الحرية في الجدال وفي بسط قضايا الكتابة لديه بشيئ من الخصوصية على الطريقة المغربية.*



■ قال الأديب السوداني محسن خالد ذات مره أنه صادف أحد الأدباء في إحدي دول المهجر فمد له الأديب معرفا نفسه وموطنه فما كان لمحسن خالد إلا أن قال معرفا نفسه أيضا "محسن خالد" . ثم صمت برهة وأردف "الطيب صالح" فعرف الأديب من أي قوم هو "محسن خالد" ، فإلى من ينتمي محمد سعيد الريحاني؟

- أنا أنتمي إلى "يوبا الثاني" الملك-العالم الوحيد في التاريخ الذي اعتلى عرشا على كوكب الارض والذي غيبته عن تاريخ أعلام المغرب "غيرة" السلالات التي حكمت البلاد بعده فلم يبق منه غير نصب تذكاري في بلاد الإغريق.

أنتمي إلى "طارق بن زياد" وسلالة الأبطال المغاوير الذين فتحوا الأندلس دون أن يوشحوا ولو بمجرد الاعتراف ببطولاتهم فماتوا مجهولين في الشام بلا حتى شاهد على قبرهم يدل الأجيال القادمة على محطة وصولهم.

أنتمي إلى "يوسف بن تاشفين" مؤسس دولة المغرب الكبير وضامن هيبتها وموحد المغرب العربي وحامي الأندلس من الانهيار والزوال.

أنتمي إلى "عبد الكريم الخطابي" معلم المقاومين في العصر الحديث ومبدع "حرب العصابات" وأستاذ ماو تسي تونغ وهوشيه منه وأرنستو تشي غيفارا وغيرهم من كبار الثوار في القرن العشرين.

أنتمي إلى العلامة "ابن عرضون" الذي بلغت نسبة تمدرس الفتاة المغربية في عصره، القرن التاسع عشر، مرتين أكثر من نسبة تمدرس التلاميذ الذكور، والذي أدركه الموت قبل أن يكمل فتواه الدينية في "المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث".

أنتمي إلى "فاطمة الفهرية" بانية أول جامعة في التاريخ، جامع القرويين بفاس في اواسط القرن الثامن، قبل جامع الازهر وجامع الزيتونة وجامعتي أوكسفورد وكامبريدج بقرون.

أنتمي إلى الرحالة "ابن بطوطة" والجغرافي "الشريف الإدريسي" و"ليون الإفريقي" الذي لا زلنا هنا في المغرب نسميه باسمه الأصلي "الشريف الوزاني"... هؤلاء هم عائلتي ورموزي ورموز بلدي وأعلامها التي لا تحتاج إلى "أقزام" ليجعلوا منها "عظماء".

المغرب الذي أنجب كل هذه الأعلام السامقة التي دخلت "تاريخ الإنسانية" من بابه الواسع لا زال يخرج للوجود من يرفع للعالم إيقاع مشيه ويضاعف له كثافة نوره.

■ هل انتصر محمد سعيد الريحاني في معركته مع الإدارة؟

- "يوسف بن تاشفين" الملك الشهم الذي أعتز به وبمغربيته هو من أسس "فلسفة تدبير الشأن المغربي الحالي" والتي نسميها نحن المغاربة ب"المخزن". وكلمة "المخزن" في الدارجة المغربية تعني "المستودع الوحيد المخول له جمع وتوزيع السلع". إنها "فلسفة تدبير وتسيير لا تقبل حتى بالمشاركة" فما أدراك ب"المنافسة أو المعارضة أو الاحتجاج". ولذلك، ونتيجة لإصراري على مدى سبع سنوات على نيتي إصدار الجزء الأول من كتاب "تاريخ التلاعب بالامتحانات المهنية بالمغرب" عام 2009 والذي سيتبعه قريبا الجزء الثاني و"الأهم"، تعرضت للعقاب الذي لا يصدقه إلا من مرّ من نفس الدرب وتعرض لنفس السّياط.

■ أصيلة تعني الكثير للراحل الطيب صالح ، ماذا تعني لمحمد سعيد الريحاني؟

- "أصيلة" بالنسبة لي هي "مدينة جارة" تبعد عني بحوالي تسعين كيلومترا، وهي، رفقة مدينة "الصويرة" جنوب المغرب، من المدن المغربية التي قدمت النمودج للتنمية من خلال الثقافة فتطورت البنية التحتية للمدينة و انتعش القطاع السياحي والعقاري. وهي تجربة جميلة تستحق التكرار في أكثر من مدينة. فمن خلال مهرجان بسيط يحتفل سنويا بفن موسيقي إفريقي خالص هو "فن الكناوي" تضاعف عدد الفنادق في مدينة الصويرة مرات خلال عشر سنوات وارتفع عدد السياح وهو نفس الشيء بالنسبة لمدينة أصيلة المعروفة عربيا بموسمها الثقافي الصيفي والذي كان الروائي السوداني الكبير المرحوم الطيب صالح من ضيوفه الأوائل والدائمين.

■ هل نجحت في التوفيق بين النص ووظيفته وطبيعته الحرة؟

- ما يشغلني في حياتي الشخصية هو أن أكون أنا: أن أكون ذاتي. ما يشغلني هو "تطابق الفكر والقول" في خطابي و"تطابق القول والفعل" في سلوكي. وبالمثل، ما يشغلني في عملي الإبداعي يبقى هو الحرص على "وحدة جوهر النص وسطحه"، "تطابق النص وشكل عرضه". إن شغلي الشاغل هو المصالحة بين الشكل ومضمونه وهو ما يساهم في إنتاج نصوص حرة ومتجددة إلى ما لا نهاية له، نصوص لا ترتاح للنمطية. أعترف بأنني لا زلت أجرب أما النجاح في تجاربي فلست من يقرره

■ فضلا، حدثنا عن الحاءات الثلاث؟

- في سنة 2003، كتبت بمدينة اكادير المغربية نص"الحاءات الثلاث" الذي صار بعد ذلك مشروعا أدبيا يحمل ذات العنوان، "الحاءات الثلاث" هي انتقال بالإبداع السردي العربي من مرحلة الكتابة النمطية إلى الكتابة الواعية بحريتها وتحررها. "الحاءات الثلاث" أو ""المدرسة الحائية" مشروع إبداعي وتنظيري يتقصد التأسيس لمدرسة عربية قادمة للقصة القصيرة من خلال المشترك المضاميني والجمالي المُجَمَّع بين النصوص الخمسين للكاتبات والكتاب الخمسين المشاركين في المشروع الأنطولوجي والموزعين على ثلاثة أجزاء:"أنطولوجيا الحلم المغربي" الصادرة باللغة العربية سنة 2006 و"أنطولوجيا الحب" الصادرة سنة 2007 و"أنطولوجيا الحرية " الصادرة سنة 2008. ويهدف مشروع "الحاءات الثلاث" إلى تأسيس مدرسة عربية للقصة القصيرة ترتكز على خمس دعامات:

الدعامة الأولى: العمل على تأسيس "مدرسة أدبية" بأيدي وتصورات الكتاب أنفسهم دون غيرهم والالتفاف حولها ورعايتها وتطويرها...

الدعامة الثانية: توسيع دائرة نبض الأدب من "حَلَقَةِ النّخَب" لتشمل "الإنسانية جمعاء" وإخراج الأدب منَ عُزلته إلى رحاب التواصل مع العالمين، ومن وضعه كديكور على طاولة الدرس الأكاديمي إلى مقامه ككائن حي ينبض بالحرية وبالحلم وبالحب يساهم في التثاقف والتحاور بين القراء من شعوب الأرض عبر "التناص" و"الاختلاط الأجناسي"...

الدعامة الثالثة: اعتماد "الحاءات الثلاث:الحب والحلم والحرية" مواضيع رئيسة للقصة العربية الغدوية على خلفية إرادة اقتحام "الدوائر الحمراء الثلاث" لرفع سقف الحرية في التعبير الإبداعي.

الدعامة الرابعة: "توحيد الشكل والمضمون" ضد كل الأشكال النمطية السائدة في السرد على خلفية إرادة مقاومة "الفُصَام العَامّ" الذي يهيمن على مناح الحياة العامة بكافة مجالاتها السياسية والثقافية والاجتماعية...

الدعامة الخامسة: "الكتابة بالمجموعة القصصية"، الكتابة القصصية حول "تيمة واحدة" ب"نصوص متعددة" على خلفية إرادة التقارب مَع أجناس تعبيرية أخرى كالرواية ذات "الموضوع الواحد" والرسائل والأطاريح والأبحاث في مجالات المعرفة الإنسانية...

■ ماذا تعرف عن الأدب في أفريقيا جنوب الصحراء، السودان تحديدا؟

- إفريقيا لم تُخْرج للوجود فقط الإنسان "Homo Sapiens"، ولم تنجب فقط الثوار من أمثال باتريس لومومبا وعبد الكريم الخطابي والأمير عبد القادر وفرحات حشاد، ولم تنتج فقط الأنواع الموسيقية المنتشرة في العالم بأسره من بلوز وجاز وغوسبلز وفودو وصامبا وصالصا وغيرها. إفريقيا هي أيضا أم نجيب محفوظ وتشينوا أتشيبي وانغوغي وليوبولد سيدار سينغور ووَول سوينكا وأبي القاسم الشابي والطيب صالح وغيرهم ممن ألقوا بعصيّهم فإذا بها أفاع تسعى.

أنا إفريقي بحكم انتمائي الجغرافي للمغرب، وإفريقي بحكم غذائي ومائي اللذين يشعراني بالامتلاء والانتماء والأمان وعند تغييرهما أشعر بالغربة والاغتراب، ولكنني أيضا إفريقي بحكم اهتماماتي. فقد التحقت مؤخرا بهيأة تحرير "مجلة كتابات إفريقية" الأنغلوفونية African Writing Magazine والصادرة من مدينة بورنموث Bournemouth جنوب إنجلترة، وشهرا واحدا فقط بعد التحاقي بأسرة تحرير المجلة، هيأت باللغة الإنجليزية أول ملف عن "الأدب في شمال إفريقيا" في محاولة للتعريف بالادب المغاربي لدى أهالينا من الأفارقة جنوب الصحراء ممن يقرؤون لغة شكسبير. وقبل ذلك بعام، أشرفت على الترجمة الإنجليزية للنصوص القصصية المكونة للقسم المغربي في أنطولوجيا "صوت الأجيال: مختارات من القصة الإفريقية المعاصرة" التي أعدتها جامعة أوليف هارفيه بولاية تشيكاغو الأمريكية ونشرتها دارا نشر "ريد سيه بريس" و"أفريكا وورلد بريس" في ترنتن بولاية نيو جيرزي الأمريكية، يونيو 2010.

هذا عن مساهمتي في ربط الوصال بين الفاعلين في الأدب الإفريقي. أما عما استفدته من الأدب الإفريقي عموما والسوداني خصوصا، فاذكر أنني سنة 1989، شاركت في مقاطعة الامتحانات الجامعية التي دعت إليها خمس جامعات مغربية أنذاك. وقد كانت تلك السنة سنة تحول في حياتي على كل الواجهات وبكل المقاييس. واذكر ان صديقا، بعد فشل مقاطعة الامتحانات، أهداني رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للروائي السوداني الراحل الطيب صالح وهي رواية قرأتها أكثر من مرة حتى اضحت نواة تشكل نصوص مجموعتي القصصية "موسم الهجرة على أي مكان" خمسة عشر عاما بعد ذلك.